التاريخ الشفوي للقُرى الفلسطينية التي دمرها الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م: قرية الطنطورة أنموذجاً

Oral history of Palestinian villages destroyed by the Israeli occupation in 1948: Al-Tantora village as a model

إعداد: د. عبد الجبار رجا محمود العودة؛ عضو هيئة تدريس غير متفرغ في الجامعة العربية الامريكية، جنين، فلسطين

Prepared by: Dr. Abdul-Jabbar Raja Mahmoud Al-Oda: Part-time faculty member at Arab American University, Jenin, palestine

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التعرف بقرية الطنطورة الفلسطينية، وفضح الروايات الإسرائيلية تجاه مذابح القرى الفلسطينية المدمرة، وبيان أهمية التوثيق الشفوي للتاريخ الفلسطيني. وتم استخدام العديد من المناهج منها: المنهج الوصفي التحليلي من خلال فرز وتحليل ما جمع من أجل تشكيل مادة الدراسة، واستقراء وتتبع وجمع ما روى عن قرية الطنطورة.

وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج منها: كانت مذبحة الطنطورة نموذج لبشاعة ما تم في حرب عام 1948م، وقد دافع أهالي الطنطورة عن بلدهم ولم يسلموها إلا بعد اشتباكات عديدة بينهم وبين اليهود، حيث لم يبق رصاص أو سلاح مع أهالي القرية، وقتل عدد كبير منهم، أي أن العرب دافعوا عن قريتهم دفاع مرير إلى أن سقطت بيد اليهود.

كما أوصت الدراسة بعدة توصيات منها: ضرورة توثيق الروايات الشفوية من كبار السن قبل أن يتوفاهم الله، لدحض مقولة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، واثبات حقوق الفلسطينيين فيها.

الكلمات المفتاحية: التاريخ الشفوي، القرى الفلسطينية، الاحتلال الإسرائيلي، قرية الطنطورة

Abstract:

The study aims to identify the Palestinian village of Tantura, expose the Israeli narratives about the massacres of the destroyed Palestinian villages, and show the importance of oral documentation of Palestinian history.

The study used many approaches, including: the descriptive analytical approach through sorting and analyzing what was collected in order to form the study material, and extrapolating, tracing and collecting what was narrated about the village of Tantora.

The study reached several results, including: the Tantoura massacre was a model of the ugliness of what happened in the 1948 AD. The people of Tantoura defended their country and did not surrender it until after numerous clashes between them and the Jews, where no bullets or

weapons remained with the villagers, and a large number of them were killed. That is, the Arabs defended their village bitterly, until it fell into the hands of the Jews.

The study also made several recommendations, including: Documenting oral narrations from the elderly before they died, to refute the saying of a land without a people for a people without a land, and to prove the rights of the Palestinians in it.

Keywords: oral history, Palestinian villages, Israeli occupation, Tantora village.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

ارتبط الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين، باقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، وعند إعلان قيام إسرائيل، في الخامس عشر من أيار عام 1948، كانت قد أنجزت عمليات ترحيل قسري واسع النطاق من المدن والقرى الفلسطينية، طالت هذه العمليات 850000 مواطن فلسطيني، وواصلت حكومة إسرائيل سياسات الترحيل بكثافة في السنوات التي تلت قيام الدولة، استخدم الصهاينة وسائل الترويع المختلفة لاقتلاع الفلسطينيين من أرضهم ودورهم، وشكلت المجازر وعمليات القتل الجماعي الوسيلة الأساسية في سلوك القوات الإسرائيلية قبل قيام الدولة وبعد قيامها، وتعدت القرى الفلسطينية أربعمائة ونيف التي هجرت إسرائيل أهاليها في سنة 1948م، ثم دمرتها ومحت معالمها ووزعت أراضيها ومزارعها على سكانها الجدد من اليهود، وأقامت عليها مستعمرات بأسمائها التاريخية الأصلية، وذلك إمعاناً في إزالة الصبغة العربية لا عن التراب الفلسطيني وحسب بل عن خرائط فلسطين وذاكرة العالم أيضاً.

اتبعت العصابات الصهيونية استراتيجية المجازر والمذابح والإرهاب، من أجل الترحيل القسري للسكان الفلسطينيين، وهناك العديد من المجازر والمذابح التي حدثت مثل مذبحة دير ياسين وأبو شوشة والصفصاف وقبيه، وعشرات القرى الفلسطينية، عرف الكثير من هذه المجازر ولكن هنالك مجازر أخرى ظلت طي الكتمان ومنها المجزرة التي وقعت في الطنطورة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

دمرت الطنطورة وسلبت من أيدي أهلها الذين دافعوا عنها، واستشهد أبناؤها، وشردت النساء والأطفال، وهدمت البيوت، ومع ذلك لم تذكر اية جهة أو صحيفة شيء عن هذه المذبحة، الأمر الذي دفعني أن أرفع صوتها عالياً، وتتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

1–من هم إلى سكان قرية الطنطورة الأصليين؟

2–ما الأسباب الكامنة لاحتلال اليهود لقرية الطنطورة؟

3–ما مصير من بقي على قيد الحياة من سكان الطنطورة؟

4–هل من الممكن عودة سكانها الى قريتهم؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1–التعريف بقرية الطنطورة الفلسطينية.

2–فضح الروايات الإسرائيلية تجاه مذابح القرى الفلسطينية المدمرة.

3–بيان أهمية التوثيق الشفوي للتاريخ الفلسطيني.

أهمية الدراسة:

تتناول الدراسة موضوعاً مهماً لا يمكن التغاضي عنه أو تهميشه، وهو المذابح التي ارتكبها اليهود بحق الشعب الفلسطيني، حيث يعد هذا الموضوع من الموضوعات الجديرة بالدراسة والبحث، ويمكن أن يفيد المكتبة الفلسطينية والتي تفتقر بدورها لمثل هذه الدراسات المهمة، كما يفيد الدارسين والباحثين والمهتمين بمثل هذه الدراسات.

منهجية الدراسة:

استخدمت الدراسة العديد من المناهج منها:

1–المنهج الوصفي التحليلي من خلال فرز وتحليل ما جمع من اجل تشكيل مادة البحث.

2–استقراء وتتبع وجمع ما روى عن سقوط قرية الطنطورة بيد اليهود.

المبحث الأول: الجغرافية التاريخية لقرية الطنطورة

1) الموقع الجغرافي

تقع قرية الطنطورة على بعد قرابة 24 كم جنوب حيفا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط (الخالدي، 1998، 106). يحد القرية من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق قرية الفرادیس[1]، ومن الجنوب قرية كبارة[2] وعرب الغوارنة[3] وقرية جسر الزرقاء[4]، ومن الشمال قرية عين غزال[5] وقرية كفر لام[6]. (الموسوعة الفلسطينية، 1984، مج3، 121). كان اسم قرية الطنطورة في الفترة الكنعانية القديمة (دار)، وفي فترة حكم الرومان والصليبيين تحول الاسم إلى (دور)، ثم تحول هذا الاسم مع مرور الزمن إلى الطنطورة (اليحيى، 1998، ص13).

(1) قرية عربية فلسطينية على سفح جبل الكرمل شمال فلسطين، تبعد 30 كم جنوب حيفا شرق شاطئ البحر الأبيض المتوسط. (أبو حمود، 1984، ص162)

(2) قرية عربية فلسطينية على بعد 33 كم إلى الجنوب من حيفا في السهل الساحلي. (أبو حمود، 1984، ص183)

(3) عشيرة من حيفا تسكن جنوب مدينة حيفا على ساحل البحر الأبيض المتوسط. (أبو حمود، 1984، ص142)

(4) قرية عربية جنوب حيفا تطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط. (صايغ، 1968، ص126).

(5) قرية عربية فلسطينية إلى الجنوب من مدينة حيفا. (صايغ، 1968، 201).

(6) قرية عربية فلسطينية على بعد 26 كم إلى الجنوب من مدينة حيفا. (صايغ، 1968، ص269).

يروي مصطفى ولي[1] "الطنطورة هي قرية جميلة جدا على شاطئ فلسطين، جغرافيا هي قرية كبيرة نسبيا تقع إلى الجنوب من حيفا على الساحل تماما في مسافة 23كم تقريبا، وفيها ميناء، وهي موقع حيوي وهام في طريق حيفا –يافا–تل أبيب" (ولي، 2005). أما عبد الرازق عشماوي[2] قال: "لا يمكن أن يعرف أحد الطنطورة وينساها على جمالها وموقعها الاستراتيجي السياحي" (عشماوي، 2005). وتروي زهيه عبد الرحمن صباغ: انها قريبة من قرية الخضيرة وزمارين، كانت القرية تنتصب على تل صغير يرتفع قليلا عن الشاطئ الرملي والمحيط بها (زهية، 2021). وكانت طريق فرعية تربطها بالطريق العام الساحلي، وتصلها بحيفا وبمراكز مدن أخرى، وكان فيها أيضا محطة لقطار سكة الحديد توفر الخدمات للخط الساحلي (الخالدي، 1998، ص106). وهي من محطات سكة حديد مصر فلسطين على الكيلو (382) من محطة القنطرة (شراب، 1987، 503).

وصف الرحالة البريطاني ج. بكنغهام (Buckingham)[3] في سنة 1821م، الطنطورة قائلاً: بأنها قرية صغيرة ذات مرفأ صغير وخان، وقال إن الطنطورة وإن لم تكن مقفرة تماما، فإن ما بقي من ضئيل أثارها لا ينبئ بما كان من عظمتها الغابرة. وفي أواخر القرن التاسع عشر وصفت الطنطورة بأنها قرية ساحلية تمتد من الشمال إلى الجنوب. وكان ميناؤها المبني على أطراف شبه جزيرة مربعة، يقع شمالي القرية مباشرة، واشتملت القرية على بناء حجري مربع الشكل كان يستعمل مضافة للزائرين (والأرجح أنه الخان الذي ذكره بكنغهام). وكان فيها 1200نسمة، يزرعون 25 فدانا[4] (الخالدي، 1998، 106–107).

2) المساحة وعدد السكان

تبلغ مساحة مسطح القرية 19 دونماً عام 1945م، ومساحتها مع الأراضي التابعة لها 14520 دونماً، امتلك الصهاينة 14.12% منها (الموسوعة الفلسطينية، 1984، مج3، ص122).

سكن قرية الطنطورة عام 1922م قرابة 750 نسمة من العرب، ارتفع عددهم عام 1931م إلى 953 نسمة، بينهم يهودي واحد، والى 1490 نسمة عام 1945م، كان في القرية عام 1931م 300 مسكن جميعها من الحجر، قامت المنظمات الصهيونية بهدم القرية وتشريد أهلها البالغ عددهم عام 1948م حوالي 1728 نسمة (الموسوعة الفلسطينية، 1984، مج3، ص122).

([1]) باحث فلسطيني نشيط على مواقع التواصل الاجتماعي.

([2]) أحد مهجري قرية الطنطورة.

([3]) ج. بكنغهام: رحالة انجليزي ولد عام 1786م في قرية بالقرب من مدينة فالموث بانجلترا، وتوفي عام 1855م.

([4]) الفدان يساوي 4.2 دونم، والدونم يساوي 1000 متر مربع.

3) الميناء والينابيع والوديان والمستنقعات:

يقع ميناء الطنطورة في شمال القرية مباشرة، وهو خليج شبه مربع، أبعاده 100م x100م، وكان نشطاً في مجال التصدير إلى لبنان ومصر وغيرها من الدول. كما وجد في القرية مجموعة من الجزر الصغيرة التي تمتد من الشمال إلى الجنوب. ويمر منها وادي المزرعة الذي ينتهي إلى البحر على بعد نحو 3 كم جنوبها، ونهر الزرقاء[1] على مسافة 6 كم إلى الجنوب منها أيضاً. امتدت القرية بصورة عامة من الشمال إلى الجنوب، وحالت المستنقعات الموجودة شرقها دون الامتداد في هذا الاتجاه (الموسوعة، مج3، ص121).

يروي أبو خالد قائلا "عنا جزر داخل البحر، وعنا بير من ماء البحر، ماؤه قريب من سطح الأرض، بتدخل الركوة[2] دون الحاجة إلى حبل لرفع الماء، لاستخراج المية منه" (أبو خالد، 2021).

المبحث الثاني: ميادين الحياة في قرية الطنطورة

1) الحياة الاجتماعية

كانت طبيعة الحياة الاجتماعية بين أهالي الطنطورة تعتمد على أساس التكاتف والتعاضد بين أبناء القرية. وتروي زهيه عن حياة أهل الطنطورة قائلة: "علاقات الناس قوية وجيدة بين أبناء القرية" (زهية، 2021). أما فوزي الطنجي يذكر: أنه لم تكن هناك صراعات بين أهالي القرية "لا يوجد عنا صراعات أبداً إلا الاحترام لبعضهم البعض، وتقدير لبعضهم البعض (أبو خالد، 2021)

2) الكرم والأكلات والمضافات:

يبين لنا فوزي الطنجي أن أهالي الطنطورة كرماء فيقول: "اللي بنزل عندهم يعطوه ما يحتاج ويعملوا له طبخة السمك مع الأرز، وكانوا يعملوا طبخة المقلوبة"، ويذكر أيضاً: "كانوا يعملوا لبن مع رز (منسف) وبقوا يعملوا مسخن" (أبو خالد، 2021). في حين أن حمده تذكر لنا بعض أنواع الطعام "أغلب الأكل سمك، والخبيزه، والبقلة، والمدفونة، والمجدرة، والعدس، (حمده، 2021).

3) العادات والتقاليد:

هناك عادات وتقاليد التزم بها أهالي الطنطورة في حياتهم سواء في الأعراس أو المآتم (الأحزان) أو حتى في باقي مناحي حياتهم.

([1]) يقع جنوب حيفا ويصب في البحر المتوسط بين قيساريا والطنطورة. (أبو حمود، 1984، ص204).

([2]) عبارة عن وعاء لحمل الماء من البئر.

4) الأعراس:

كان لأهالي الطنطورة في الأعراس عادات معينة تخص الأعراس كذلك أغاني خاصة. يروي لنا فوزي (أبو خالد):"تذهب والدة العريس إلى بيت العروس لتراها، وبعد الموافقة تذهب الجاهة من الرجال لطلب العروس من والدها وأفراد الحمولة، ويستمر العرس سبع أيام، ويشعلون النار، ويعدون الطعام، ويذكر من الأغاني (على دلعونة) والآلات المستخدمة في الأعراس (الطبلة والمزمار)، أما بالنسبة لحمام العريس فيذكر: "كنا نأخذ العريس على جزيرة المكر داخل البحر، ونزف العريس بعد الحمام هناك. (أبو خالد، 2021).

تذكر زهيه: "كل القرى القريبة منا يجتمعوا في العرس ومعهم الذبائح، وتذكر أن في عرس أخوها جابت لهم قرية السنديانه وغيرها من القرى المجاورة 28 ذبيحة، وكانت تقام الافراح في جزيرة الشدادة لان فيها قصر روماني يحوي طاولات وكراسي منحوتة من الصخر، وفي مساء اليوم الأخير تذهب الجاهة لإحضار العروس من بيت أهلها على فرس إلى بيت عريسها. (زهية، 2021).

5) الأحزان (المآتم):

كان سكان الطنطورة لهم عاداتهم الخاصة بهم، حيث كانوا يحزنوا مع أهل الميت ويقيموا احتراماً للميت فمثلاً في حالة وجود وفاة، يقول أبو خالد: "يتم تغسيل الميت في بيته، ويصلون عليه ومن ثم إلى المقبرة، وبعد خروج الرجال من المقبرة تأتي النساء للمقبرة، وكان الجيران يعدون الطعام لأهل الميت، بيت الأجر يظل سبع أيام"، وتؤجل الأعراس أربعين يوم" (أبو خالد، 2021).

6) الحياة الاقتصادية:

اتسمت قرية الطنطورة بغنى أهلها وثرائهم، فهم أصحاب أراضي وأصحاب محلات تجارية، مثل: دار اليحيى والصباغ والطنجة، فيذكر أبو خالد: "عائلات الطنطورة يملكون الأراضي الواسعة، ومعهم الأموال، ولم يحتاج أحد الثاني، كما امتهنوا بعض الحرف مثل حرفة الحلاقة، كان ابي فوزي الطنجة وعمي سعد الطنجة حلاقين في الطنطورة" (أبو خالد، 2021)، وتذكر عاقلة: "لنا في الطنطورة بيت متواضع، عشنا حياة بسيطة، دارنا طابق واحد، مكون من ثلاث غرف" (عاقلة، 2021). في حين تذكر زهية: "اتحدث بحسرة والم على ثروتنا التي ضاعت بلمحة بصر بعد الهجرة، فقدنا كل ما نملك، كان لنا دار طابقين وحولها حاكورة وعين ماء ويوجد فيها شجرة تين وشجرة لوز وكنا نزرع الكوسا والقرع ودوار الشمس والفول والبصل والفجل، ومساحة أرضنا 300 دونم، وكان ابوي ثالث رجل في الطنطورة من حيث الغنى والاملاك، كان أبي فلاح وسمان وله محل تجاري مختص

بالقماش، وكان زوج اختي له دكان ملابس (زهية، 2021). تروي لنا حمده عن حياة عائلة زوجها: "كان لنا دار على الشط، وهي واسعة، وأن والد زوجها كان بائع بيض متجول، وعملت والدة زوجها في تطيين البيوت" (حمدة، 2021).

7) التجارة والمواصلات:

تجارة أهالي الطنطورة كانت قليله ومحدودة مع يافا (الخالدي، 1998، ص107)، وذكر أبو خالد: "كان انتاج قرية الطنطورة يباع داخل القرية وما زاد عن الحاجة يرسل إلى حيفا، فالمواصلات متوفرة حيث كان عنا سيارات وباصات" (أبو خالد، 2021). وكان فيها أيضا خط سكه حديد توفر الخدمات للخط الساحلي، وهي من محطات سكه حديد مصر–فلسطين على بعد (382) كيلو من محطة القنطرة (شراب، 1987، ص503).

8) الزراعة وصيد السمك:

اعتمد اقتصاد الطنطورة بالدرجة الأولى على الزراعة وصيد السمك حيث أن الطنطورة قرية ساحلية على البحر المتوسط وتربتها خصبة صالحة للزراعة، حيث بلغت المساحة المزروعة برتقالاً عام 1943م قرابة (260) دونم، تتركز في جنوب شرق القرية، في حين لم يزرع الزيتون إلا في 20 دونم، أما كميات الأسماك المصطاد فقد زادت من 6 اطنان عام 1928م إلى 1622 طناً عام 1944م (الموسوعة، 1984، مج3، ص122).

أما وليد الخالدي في كتابه كي لا ننسى فيظهر اختلاف في الأرقام بين كتابه والموسوعة كما يلي: "كان في قرية الطنطورة 1200 نسمة، يزرعون 250 دونماً، وفي فتره الانتداب البريطاني ازداد صيد السمك، وكانت الحبوب والخضراوات والفاكهة أهم الغلال الزراعية في 1944\1945، كان ما مجموعه 26 دونماً مخصصاً للحمضيات والموز 6593 دونماً للحبوب ومنها 270 دونماً للزيتون و287 دونماً مروياً (الخالدي، 1998، ص107).

يذكر أبو خالد عن طبيعة الحياة الزراعية في الطنطورة "أنهم كانوا يزرعوا الأرض بالبذر ويعتمدوا على السماد الطبيعي من مخلفات الحيوانات، ويبدأ العمل في المزارع من الصبح حتى العصر، ومنهم من اشتغل في مزارع البريطانيين، واستخدام الحيوانات في الزراعة والمنجل للحصاد، أي استخدموا الوسائل البدائية في الزراعة لعدم وجود وسائل حديثة في الزراعة، فكانت النساء تساعد أزواجهن أو ابائهن في العمل الزراعي، ومن ليس لديه أرض كان يعمل عند الآخرين من المزارعين، وقسم كبير اتجه إلى مهنة صيد السمك (أبو خالد، 2021).

9) التعليم:

كان في الطنطورة نوع من التعليم المتوسط أي المراحل الدنيا مثل: الحضانة وهي مرحله تسبق المدرسة، كان يذهب إليها أطفال القرية، وكذلك مرحله ابتدائية حيث كان في القرية مدرسه للبنين وأخرى لإناث (الموسوعة، مج3، ص122). وفي كتاب كي لا ننسى للخالدي يذكر عن هذه المدارس في كتابه "كان فيها مدرسه ابتدائية للبنين، بنيت في سنة 1889 تقريباً وأخرى للبنات أسست في 1937\1938 (الخالدي، 1998، ص107). أما في معجم بلدان فلسطين فيذكر أن مدرستها تأسست سنة 1937، وكانت سنة 1943م ابتدائية كاملة دمرها الأعداء سنه 1948م، وأقاموا مكانها مستعمرة (دور) (Door). (شراب، 1987، ص503).

أما زهيه تذكر: "انه يوجد في الطنطورة مدرسة بنات وكذلك مدرسة أولاد ابتدائية، وانه قليل من سكان الطنطورة من تعلم وأكمل تعليمه فمن كان يرغب بإكمال دراسته كان يذهب إلى حيفا، وتذكر أنها درست حتى الصف الثالث في حين أن أختها مسعدة درست حتى صف البستان (زهية، 2021).

وذكر أبو خالد: " كان عنا في الطنطورة مدارس، يأتي اليها الطلاب من القرى المجاورة للطنطورة، مثل عين غزال وجبع وكفر لام وصرفند، والمعلمين قسم منهم من الطنطورة والقسم الآخر من خارج الطنطورة، وأذكر اغلب طلاب صفي من حيفا، منهم واحد اسمه سعيد وهو ابن اخ الشيخ عزالدين القسام" (أبو خالد، 2021).

10) الصحة:

المستوى الصحي في الطنطورة كان بسيطاً، اعتمدوا على العلاج التقليدي، رغم وجود الأطباء عندهم، لكنهم كانوا يعتمدوا على حيفا والقرى المجاورة في علاج مرضاهم، تذكر زهيه: "كان المرضى يذهبون إلى زمارين أو حيفا للعلاج، وكانوا يستخدمون الأعشاب لعلاج مرضاهم في الحالات البسيطة، مستخدمين كاسات الهواء، والكي بالنار، والتخريج للذين يصابون بالعين، وطاسة الخوف، والخرزة الزرقاء، وكان عنا داية (قابلة) لتوليد النساء الحوامل، مثل: ام محمود البيرومي، وابنتها أم خليل البيرومي، وكان في القرية مطهر أطفال (الختان) (زهية، 2021). أما فوزي فيذكر: "أصابنا مرض قاتل وهو الملاريا، بسبب تجمع المياه في منطقة منخفضة شرق القرية، تتجمع فيه مياه الأمطار ويأخذ وقتاً طويلاً ليجف، فيتجمع فيه البعوض والحشرات، كما اصابنا مرض التوفئيد، ومن يصاب بهذه الامراض ينقل الى حيفا للعلاج، وكان في القرية مجبر الكسور، كسر اليد أو الرجل،

وهو أبو سليمان الدسوقي، وعبد الرحمن زيدان، استخدموا الصابون والقش والبيض في تجبير الكسور (أبو خالد، 2021).

المبحث الثالث: المقاومة والاحتلال لقرية الطنطورة

11) ثورة 1936

اشترك أهل الطنطورة في الثورة عام 1936، ويذكر أبو فايز قائلاً: "أذكر أن القائد نعيم المصري والشيخ علي سلام ومساعده عبد الله عبد العال، كانوا قادة فصيل الثورة، ومعه مجموعة من الثوار منهم عبد شبيب الدسوقي، وسليم أبو شاكر، وداوود الهندي، وفي نفس الوقت كان شباب الطنطورة يخدمون في الشرطة البريطانية، حيث قاموا هؤلاء الشباب بتزويد الثوار بالقنابل من مستودعات سلاح البوليس، كما قدم الأهالي كافة التسهيلات اللازمة للثوار من أموال وطعام، ومنهم من باع مجوهرات زوجته لشراء السلاح، وأضاف أن نهاية الثورة كشفت عن مؤامرات كانت تحاك تمهيدا لتسليم فلسطين مجانا للصهاينة" (أبو فايز، 2021).

أما أبو خالد قال عن مشاركة سكان الطنطورة: "شاركوا فيها وكان فيها قائد من دار المصري واستشهد، وانا اعرفه جيداً، كما كان أهل القرية يساعدون الثوار، وزار القرية المناضل أبو درة من بلدة السلة، من أجل الهروب خارج البلاد، وكانت دوريات بريطانيا دائما تداهم البيوت، ويتم تطويق القرية للبحث عن الأسلحة والثوار، فكانوا يجمعون رجال القرية على البيادر لتفتيش البيوت براحتهم، ومما كانوا يقومون به أثناء التفتيش سكب الزيت على الأرض، خلط الملح مع السكر، وأحيانا هدم بيوت الثوار، واذكر من تم اعتقالهم من اهل الطنطورة سعيد سلام، عقاب اليحيى، خليل العشماوي، محمود المصري" (أبو خالد، 2021).

12) حرب 1948

أدى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي صدر في 1947/11/29 بشأن تقسيم فلسطين إلى دولة عربية على مساحة 45% من أرض فلسطين مقابل دولة يهودية على مساحة 54% من مساحة فلسطين، وهذا أدَّى إلى بدء الأعمال العدائية بين العرب واليهود في اليوم التالي. وأعلنت اللجنة العربية العليا التي عارضت القرار بشده عن إضراب عام لمده 3 أيام اعتبار من 1947/12/1 وبذلك أعطت إشارة البدء للاضطرابات العربية في مختلف قرى ومدن فلسطين. وبدأت الهجمات العربية على الأحياء اليهودية والقرى والمستوطنات اليهودية. وسادت البلاد حاله من الفوضى العارمة، وبدأت تتدهور الأوضاع نحو حرب حقيقية، ففي المدن العربية، أقيمت لجان وطنيه لإدارة الصراع

على الصعيد المحلي، وامتاز شهر كانون الأول عام 1947، بأعمال عنف متبادلة بين العرب واليهود (بني موريس، 1993، ص45).

13) بداية الحرب عام 1948 ومذبحة الطنطورة

كانت الطنطورة في بداية أيار/مايو 1948 من أواخر القرى العربية الباقية في شريط السهل الساحلي، الممتد من منطقة زخرون يعقوب (جنوبي حيفا) حتى تل أبيب. وفي 9/أيار/مايو 1948م، عقد اجتماع بين ضباط الاستخبارات المحليين في الهاغاناه وبين خبراء بالشؤون العربية، لتقرير مصير الطنطورة وبضع قرى أخرى وأتخذ القرار، بحسب ما ذكر المؤرخ الإسرائيلي بني موريس، أن القرار نفذ في الطنطورة بعد أسبوعين، ليل 22–23 أيار/مايو، إذ هاجمت الكتيبة الثالثة في لواء الكسندروني على القرية، التي سقطت بعد معركة قصيرة، وكان من الواضح أن قادة لواء الكسندروني أرادوا القرية خالية من سكانها، وأن بعض هؤلاء السكان على الأقل طرد" (بني موريس، 1993، ص45).

14) الشهود على نكبة 1948 وتهجير سكان الطنطورة

يروي أبو فايز عن نكبة 1948 فيقول: "قبل الهجوم على الطنطورة بأيام اقتحم اليهود قرية كفر لام المجاورة لنا واحتلوها. بعدها أنذرونا عن طريق مختار قرية زمرين بتسليم القرية دون مقاومة، فرفض الأهالي الإنذار، وبدأ الهجوم على الطنطورة في 23 أيار/مايو الساعة 11 ليلا من ناحية تل الكركون واستشهد 4 أشخاص، وتوقف الهجوم حوالي العاشرة صباحا حين أرسل اليهود تعزيزات من جهة البحر بواسطة القطار الذي يصل حيفا بيافا، وجمعوا أهل القرية عند شاطئ البحر وكانوا يختارون من بينهم أفرادا ويقتلوهم بدم بارد رميا بالرصاص دون تمييز بين طفل وامرأة أو شيخ عجوز وشاب ودفنوهم في مقبرة جماعية، ونقل الأحياء من النساء والأطفال إلى قرية الفريديس (أبو فايز، 2021)

يذكر أبو رياض: "إن المناوشات الأولى كانت في الأيام العشرة الأخيرة من كانون الثاني عام 1948 وبدأت التحرشات من قبل سكان زمرين، وقتل في تلك المعركة أحد أبناء القرية، وهو محمود أبو مدريس. ويوم 15 أيار/مايو عام 1948 جاءت مصفحة واختطفت ثلاث أشخاص عندما كانوا يصلحون سيارة باص تعطلت في الشارع الرئيسي، وهم سائق الباص أبو لوه، وهو ليس من الطنطورة وكان معه يحيى أبو عبود، ومرعي دسوقي، وكنت شاهدا على المعركة، بعد الساعة الواحدة ليلا يوم 1 حزيران/يونيو بدأ الهجوم على القرية من كل الجهات، كان معنا بعض الأسلحة الشخصية الخفيفة، لكن ماذا نفعل مع هذه المصفحات، كنا نضرب طلقات حمراء وهم يضربون قذائف من المصفحات،

كان معنا (برن) على سطح المدرسة بدون رصاص، وفي الصباح استسلمت القرية على أمل أن تترك العصابات الأحياء وتدمر القرية، لكن الذي كان، أن جمعوا أهالي القرية في الساحة، أوقفوا جميع من بقي من القرية وأداروا وجوههم إلى الحيطان وقتلوهم بدم بارد أنا كنت شاهدا على هذه الجريمة، قتلوا حوالي 95 شخصا وسجلت أسماء الذين استشهدوا" (أبو رياض، 2021).

يقول أبو فهمي: "كان ذلك ليلة تسريحي من الجندية بعد خدمة عسكرية دامت ثماني سنوات، هوجمت القرية ليلا من جميع الجهات برا وبحراً، وكان معنا من الذخائر القليل، وفي تلك الليلة جاءنا مندوب من قبل الثوار، وقال لا تستسلموا سيأتيكم المدد ولو على الجمال، لكن هذا كان هراء وليس حقيقة، لان المنطقة كلها كانت قد ملئت عساكر، عندها أطلقت ثلاث رصاصات طلبت فيها النجدة من عين غزال فأجبت باللاسلكي أن الطريق مليئة بالدبابات ولا يمكن أن يصل المدد، عندها أيقنا بوقوع كارثة، وفعلا سقطت القرية وجمع كثير من الرجال إلى الساحة ثم أديرت وجوههم إلى الحائط ورشوا جميعا بالذخائر الحية، رأيت ذلك بأم عيني وأعطاني الضابط قلما ودفتراً وحمالتين وطلب تسجيل أسماء أصحاب الجثث فكانوا (95) رجلاً وامرأتين، هذا ما سجلوه لكني لم أسجل بعض الجثث كي لا ينكلوا بأفراد عائلاتهم وكان من بين الذين لم أسجلهم عمي وابنه، كنا عدة شباب ومعنا صديق لي أذكر اسمه (مرشد) كان يعمل عند اليهود في الكيبوتس وكان يتعلم العبرية فسمعناهم يقولون في التقرير الذي رفعه قائد الكتيبة وكان أسمة شمشون إلى مسؤوليه أننا احتلينا منطقة استراتيجية وقد قتلنا حوالي (250) شخص، هذا ما ترجمه صديقي (مرشد)، وبعد ذلك طلبوا منا أن نحفر قبراً كبيراً وعدة قبور صغيرة فقال لنا(مرشد) إنهم يقولون أنهم سيقتلوننا جميعا وأن هذه القبور التي نحفرها بأيدينا قبورنا، وفي هذه الأثناء جاء يهودي كان يعمل عنده مرشد فعرفه فقال له لا تخف سأذهب إلى الضابط وارجع إليكم، فذهب ثم عاد بورقة إفراج، لكنهم نقلونا إلى المعتقلات وبقينا ثمانية عشر شهراً أتنقل بين السجون حتى نهى نهاية الإفراج عني" (أبو فهمي، 2021).

يقول أبوسعيد: "على مقربة المسجد كانت ساحة، وقد قام اليهود بصف الشباب قرابة (25) شابا وكذلك فتيات وكان أمامهم (10–20) جنديا يهودياً، ثم فجأة قاموا بإطلاق النار على الشباب وأمروا الفتيات بالانصراف، عند عودتي إلى الشاطئ اصطدمت بجثث القتلى، كانوا (40–50) شهيداً كلهم على طول الجدران، وعندما هممنا بالخروج كان الجنود يوجهون بنادقهم إلى أمهاتنا، ويستذكر إحدى الأمهات التي غطت على أولادها مخافة قتلهم وعندما نادى أحد الأطفال على أمه أطلقوا علية النار، والتي من شدة الخوف أصيبت بشلل وترجينا اليهود أن ينقلوها بالسيارة فقالوا لا حاجة نقتلها وتستريحوا، لقد كان في القرية بئر ألقيت فيه جثث الشباب، وأخر ألقيت فيه جثث الفتيات، ولا أزال

أتذكر تلكم المرأة التي رجت الجنود أن تبعد جثة زوجها عن الشمس، وهم أحد الجنود بقتلها، ولكنهم وافقوا على إبعاد جثة الزوج عن الشمس" (أبو سعيد، 2021).

يقول أبو الحسن: "إن الدولة التي تقوم على الظلم والجريمة لن تدوم أكثر من ساعة، والدولة التي تقوم على الصدق والأمانة تظل إلى قيام الساعة، بعد أن احتلوا القرية جمعونا على شاطئ البحر، واختاروا سبعة شباب لجمع جثث القتلى، وقد كنت واحداً منهم، وعندما كنا نجمع الجثث وجدنا جثتين داخل أشواك الصبر وخفت الاقتراب منهما، لان الصبر فيه شوك كثير، وعندما اقترب منا الضابط اشتكى الحارس على أنني رفضت أن ادخل الصبرة، وشهر سلاحه مهدداً بقتلي، فنهضت وقفزت إلى داخل الصبرة، وقد جهزنا الجثث، وترتيبها، كل أربعة أو ثمانية أو عشرة جثث مع بعض، والجثث التي جمعناها (60–70) جثة أو أكثر، فأنا لا أذكر بالضبط، وعندما كنا نعمل على تجميع الجثث في "أكوام" فجأة دخل جندي مصاب بيده، وقال للحراس: أنه ينوي قتل اثنين منا انتقاما لإصابته بيده، وأشار نحوي وإلى من كان بجانبي، وقد كان هذا الشاب قد فرغ من سحب جثتي أخويه، ولم يعد يبالي بما سيحدث له، تقدم وأبعد 100م أطلق هذا الجندي عليه النار فقتله، أنا كنت محظوظاً فلم أقم، أحد الجنود ضربني على ظهري بمؤخرة بندقيته، ألمني كثيرا قمت ثم سقطت أرضاً من شدة الألم في ظهري، إذ لا يزال يلاحقني هذا الألم إلى اليوم، حيث أشعر بآلام حادة في ظهري، ثم قام الجيش باعتقال كل الشباب المتبقين بالقرية من بين جيل (10) سنوات إلى جيل (100) عام، في البداية أرسلوهم إلى مستعمرة زخرون يعقوب ثم إلى أم خالد (نتانيا) ثم الجليل ورعنانا، أنا مكثت في السجن (11) عاماً، أما النساء والأطفال فأرسلوا إلى قرية الفريديس، ولكن بعد مصادرة حليهن وأموالهن" (أبو الحسن 2021).

وقد أكد أبو سهيل على أن الجنود ارتكبوا فضلاً عن والمجازر، عمليات اغتصاب في حق مسلمات الطنطورة، وقد كان شاهدا على أحد الجرائم، فيقول: "بعد سيطرتهم على القرية جمعونا على شاطئ البحر، الرجال إلى جهة والنساء الأطفال في جهة أخرى، ثم بدأوا يرسلوا مجموعات من الشباب إلى المقبرة لقتلهم، وكنت قد رأيت آنذاك فتاة جميلة تبلغ من العمر (16) عاما وأسمها محفوظ لدينا، وأربعه من الجنود يجرونها حيث سحبوها من بين جميع النساء، حاول عمها أن يمنعهم وينقذها لكنهم دفعوه جانبا، وعندما أصر الدفاع عن عرضه أطلقوا عليه رصاصة في رأسه فأردوه قتيلا، لقد هتكوا عرضها، وخرجت حزينة إلى الضفة الغربية، ولم تتزوج قط في حياتها" (أبو سهيل، 2021).

وقالت السيدة فردوس: "كانت ساكنة بجانبنا ختياره كبيرة في السن، أجت بعد ما انقتلوا أهلها، وكنا نقعد حواليها وتحدثنا عن إلي صار، بتقول: "كانوا بعد ما دخل الجيش يفصلوا الرجال عن النسوان. الشباب أخذوهم وقتلوا منهم كثير قدامنا، طخ في رؤوسهم أو في صدورهم، وجمعوا النسوان

والصغار، وصاروا ينقوا البنات والصبايا، بنات عمر 16 سنة وفوق، ولموا أكثر من (30) بنت، حملوهن بسيارات الجيش ليأخذوهن ويعتدوا عليهن، وقامت امرأة كبيرة في السن تحاول منعهم فمسك الجندي بلطه عن الأرض وضربها على رأسها فيها، وأخذوا البنات إلى مكان مجهول" (أبو الهيجا، 2021).

أما درويش مصطفى أبو شاب يذكر: "كان عمري ثماني سنوات عند النكبة، عندما اضطرت عائلتي للانتقال من جسر الزرقاء إلى الطنطورة سعيا وراء لقمة العيش لان رب الأسرة كان يشتغل في مستوطنة (بنيامينا)، وهي اقرب إلى الطنطورة من جسر الزرقاء، واستأجرت العائلة بيتا في القرية من عائلة سليمان الأطرش، واستقرت فيه حوالي ثلاثة شهور قبل احتلال الطنطورة، وفي خلال هذه الفترة من إقامتنا في الطنطورة حدثت المأساة المفجعة، أذكر عندما أعود بالذاكرة إلى الخلف إلى تلك الأيام السوداء، أتصور جثثا كثيرة، وكنت أركض باكيا في مسرب يقوم الصبر على جانبيه، لألحق بوالدتي، حال سقوط القرية بأيدي اليهود الذين جمعوا النساء والأطفال على حدة، وجمعوا الرجال معا على حدة بالقرب من مكان النساء والأطفال، كنت أدوس على الجثث، على الأيدي والأرجل والأجساد.

وبتابع درويش، نعم كان ذلك بالقرب من مصنع الزجاج القريب من مقبرة القرية على تخوم الطنطورة، وأذكر أنه قبل احتلال القرية ببضعة أيام رست سفينة على مقربة من الطنطورة، كانت سفينة كبيرة أنزل منها قارب، رسا على شاطئ الطنطورة ونزل منه اثنان، لا أذكر شكلها الآن، وقالا للسكان: من شاء منكم السفر والرحيل، فنحن على استعداد لنقله إلى لبنان، إلى تركيا، أو سوريا، واذكر أن عدداً من الناس رحلوا على هذا المركب، وأذكر أن المحتلين جمعوا النساء في اليوم التالي على شاطئ البحر وجاءت مجندات يهوديات رحن يفتشن النساء تفتيشا دقيقا على أجسادهن، ولم يتركن اسواره أو عقد أو خاتم إلا أخذنه، كما أخذن ما وجدن من نقود مع النساء.

وقال: وأكثر ما اذكره اللحظة التي أطلق فيها النار على عدد من الرجال وقتلوهم بدم بارد، وكان بينهم والدي مصطفى الشيخ خليل مفتاح، وخالي عبد الشيخ إبراهيم أبو العنين، وأنا لم اعد اسمع غير عويل النساء وصراخ الأطفال، وقد عرفت فيما بعد إنهم دفنوا القتلى في قبور جماعية، غير انه لا اثر للقبور ولا للحجارة، جمعونا في سيارات وأرادوا قذفنا إلى الضفة الغربية، ولكن مختار قرية الفريديس قال للغزاة: "لقد أخذتم ما تبقى من الرجال إلى المعتقلات وما في لهؤلاء النساء والأطفال مأوى يذهبون إليه، وعندما قالوا من شاء أن يبقى في الفريديس فلينزل، واذكر أن عائلتنا وعائلة الأطرش نزلتا في الفريديس، وعند بدء تسجيل السكان سألوني عن اسم عائلتي فلم أتذكر لأنني كنت ما زلت تحت تأثير هول ما شاهدته، كنت مشتتا كليا من تأثير الصدمة ومنذئذ أصبح اسم عائلتنا أبو شاب في الهوية، وطبعا رسميا، كان اسم عائلتنا الشيخ خليل مفتاح، اعرف إننا وعائلة سليمان

الأطرش قد نزلنا من سيارة الترحيل، ولا اعرف ماذا كان مصير الباقين في السيارة، حيث لم يكن هناك أي عمل على الإطلاق.

ويتابع حديثه: وكان الناس الذين لجئوا إلى الفريديس، ونحن منهم، في شبه مجاعة، وأذكر جيدا أن مختار الفريديس في حينه، ولا اذكر اسمه كان يدور على البيوت في القرية ويجمع كسرات الخبز وحبات البندورة والخيار في طرف قمبازه ويوزعها على المنكوبين أمثالنا، وجاء يوما أحد اليهود، وطلب أولاد للعمل بقطف البامية من ارض الطنطورة، ولما كنت اكبر الصبيان في العائلة، ذهبت مع من ذهب من الأولاد مع اليهودي، وبدأنا نقطف البامية من أرض قريتنا، وما كان احد ليسأل عن الأجرة، فأي شيء كان حسنا، ولأني ما بعرف ان في نبات البامية، وهذا الشوك أدمى أصابعي، وعدت إلى البيت ودموعي تنهل بغزاره قهراً وألماً، عندها قررت أمي أن نعود إلى جسر الزرقاء، وانتقلنا إلى البيت الذي كنا نسكنه قبل أن نرحل إلى الطنطورة ولم يمضي وقت طويل حتى جاء قريب لعائلتنا يسكن في حيفا لزيارتنا، واقترح علينا أن يأخذنا للسكن في "كفار سمير" قرب العيزريه حيث كان يمكن أن نجد لوالدتي عملاً، وانتقلنا إلى هناك، وبدأت اعمل في حيفا عند شخص يشتغل في الفخار للسياح وغيرهم، تعلمت المهنة، وانتقلت إلى عكا واصلت العمل في المصنوعات الفخارية، وبقيت مهنتي حتى اليوم (أبو شاب، 2021).

قال الأطرش: "كان عمري في تلك المأساة ثلاث عشر عاما، قدمت عائلة الشيخ خليل مفتاح من الفريديس إلى الطنطورة، واستأجرت عندنا غرفة من المرحوم والدي، فانا اعرف العائلة معرفة قريبة، كانت ارض قريتنا محاذيه لأرض "زمارين" (زخرون يعقوب)، ويبدو ان اليهود كان لهم مطامع في أرضنا، وفي مناوشة أوشكت أن تكون اشتباكا جرح فيها احد سكان زخرون يعقوب، ثم توفي لاحقا، ولا شك أن هذا أجج الحقد والعداء، وأيام النكبة حاول اليهود مرتين أو ثلاث اقتحام الطنطورة، وفشلوا بل وتكبدوا خسائر أيضاً، ثم خططوا بعد ذلك لاحتلال القرية بهجوم واسع النطاق، وكان ذلك بعد منتصف الليل بقليل، كتيبة بلغت ثمانين جندياً اضافة إلى الكتيبة التي هاجمت الطنطورة، وكانت الفرقة الأولى قد أوشكت على احتلال القرية التي سقطت في حوالي التاسعة والنصف صباحا فور سقوط القرية، بدأ الغزاة في جمع الأهالي رجالاً ونساءً وأطفالاً، وكل ما تبقى من أحياء في القرية، وحتى المواشي والبقر والغنم، حملوها في سيارات وبعضها في القطار وأخذوها (الأطرش، 2021).

ويضيف الأطرش: جمعوا الرجال على حده والنساء والأولاد على حده في نفس الساحة، وراحوا يسألون عن الهويات أولاً، ثم بدأوا يستجوبون ويسألون عن أفراد الجيش السوري، والمصري، ولم يكن في قريتنا أي جندي مصري أو سوري، اختاروا من بين الرجال رجالاً من الذين توسموا فيهم القوه والبأس، تنهد بحسرة وألم دفينين، كان المرحوم والدي بين هؤلاء، كما كان أيضاً والد درويش وخاله،

أوقفوا هؤلاء الرجال مقابل حائط في مواجهة رشاش، كنت بين الرجال والشباب الباقين ننظر إلى هذه الجريمة التي على وشك الوقوع، والخوف يكاد يقتلنا، وأمروا الرجال هؤلاء أن يديروا وجوههم صوب الحائط، في هذه الأثناء أشار الجندي إلى أن أتقدم منه ثم أشار لشخص آخر أيضاً وفي أثناء تقدمنا نحوه اعترضنا جندي آخر لم يرى على ما يبدوا إشارة الجندي الأول، وصاح بنا، إلى أين؟ فقلت له: هكذا طلب الجندي وأشرت نحو الجندي، فقال بالعبرية (طيب...تخيب)، ورغم الموقف الصعب والخوف الشديد، وجدت نفسي أقول له لا تكلمني هكذا، وكان رده ضربه على راسي بعقب البندقية، وقبل أن أقع أرضاً، سمعت صوت رشاش يلعلع في رشقه طويلة، لقد أطلقوا النار على الرجال، ساعدني الشخص الذي كان معي على الوقوف، نظرت، رأيت كومه من الملابس، فسألته، هل يجمعون الملابس من البيوت؟ فقال: قم هذه ليست ملابس؟ أنهم الرجال، قتلوهم!.

يستطرد الأطرش: "وصلنا إلى مكان الأولاد والنساء أمرني جندي أن أملأ أباريق بالماء، وان اسقي النساء والأولاد، وتوجهت إلى بيت قريب لأملأ الأباريق، فاجئني رجل ممد على الأرض بدون رأس، وكان رأسه ملقى على مقربه من الجثة، وقد فصل عن جسده، وقفلت راجعا راكضاً، وقد هالني ما رأيت، فقام أحدهم بإلقاء خرقه على الجثة والرأس، احضر احدهم خبزاً جمعه من البيوت ووعاء فيه جبنه، وطلب الجندي أن اقسم الرغيف نصفين وان أضع في كل واحده نصف جبنه وأقدمها للأولاد والنساء، حملوا القتلى على عربه حصان ورموهم في حفره، حملونا في اليوم التالي في سيارة شحن وأرادوا رمينا في القسم العربي مما تبقى من فلسطين، لكن مختار قرية الفريديس ترجاهم أن لا يفعلوا لأن الأكثرية كانوا من النساء والأولاد، ذلك أنهم ساقوا الرجال إلى المعتقلات، وترجلنا من الشاحنة، عائلتنا وعائلة مفتاح في اليوم التالي آخذو عددا من الرجال من قرية الفريديس إلى الطنطورة إلى المقبرة، وهناك أمرهم بحفر حفرتين كبيرتين، وكانوا يأتون بالقتلى ويلقونهم في الحفرة، وقد استخدموا عربة يجرها حصان وحملوا عليها القتلى إلى الحفرتين، ثم أمروا بحفر حفرة ثالثه صغيره، والقوا فيها ثلاثة نساء، كان عدد القتلى (98) قتيلا منهم ثلاث نساء، وهنا من الضروري أن أبين بان الذين قتلوا في أثناء المعركة من أبناء قريتنا كان من (10–12) شخصا، الأمر الذي يشير أن الباقين قتلوا بدم بارد (الأطرش، 2021).

ذكر الخطيب: "نحنا كنا نقاتل مع الحرس الخاصة بالقرية، وكنا منظمين، وكل فئة لها منطقة خاصة حول القرية حتى ندافع فيما إذا هوجمنا من قبل اليهود، فسلاحنا كان خفيف جداً، معظمه بنادق صيد، وأسلحة ألمانية قديمة من الحرب العالمية الأولى، وقاتلنا فيها قتال مرير، وكان اليهود سلاحهم جيد وضخم ومدافع هاون ومورتر وأسلحة رشاشات خمسمئة، واستعملوا معنا جميع الأسلحة

الكبيرة، وكنا نقاتلهم من بيت إلى بيت، ومن موقع إلى موقع حتى نفذت جميع ذخيرتنا، حتى استطاعوا أن يدخلوا القرية ويسيطروا عليها (الخطيب، 2021).

يحيى أبو ماضي يروي أحداث الطنطورة قائلا: "أنا كان عمري وقتها 17 سنة، وأنا وحيد لأمي، أمي كانت حريصة عليّ جداً، مسكتني من يدي وقالت لي: تعال معي عند النسوان قلت لها: ما بصير أنا مع الرجال، اروح اقعد مع النسوان!! أي اصلاً ما أحد يقبل أروح أجلس مع النسوان، فتركتني وراحت عند النسوان، وأنا يقيت مع الشباب انتظر مصيرنا، بعد قليل رأينا الجنود اليهود يتسلقوا أسوار الساحة ويطلبون منا رفع الايدي والاستسلام فرفعنا ايدينا وسلمنا، امي من ذلك الوقت لم أعد أراها وحتى الآن، وفي تلك اللحظات اختاروا من بين الناس الذين جالسين ثلاث فئات من الناس، فئة ذهبت تحفر مقبرة جماعية، وفئة ثانية تحضر عربات تجرها الخيل، وفئة ثالثة تجمع القتلى من الشوارع ليضعوهم في العربات ويذهبون بهم للمقبرة الجماعية" (أبو ماضي، 2021).

أما الشاهدة أمنه إبراهيم المصري فتذكر ما جرى: "دخل اليهود علينا، وجمعوا الناس في الساحة على الرمل مقابل دار نعيم الدسوقي، وكتفوا أيدينا فوق رؤوسنا، وبدأوا بإطلاق النار على من كتب الله له الموت، وما تبقى بقي مرمي بالشمس، وأخذوا الباقي أسري على السجن" (المصري، 2021).

المبحث الرابع: مصير سكان الطنطورة بعد الترحيل

بعد انتهاء اليهود من مجزرة الطنطورة، وقتل عدد كبير من سكانها، تم تهجير من تبقى من السكان، وقسم اعتقل، حيث أخليت القرية من سكانها، والاستيلاء عليها.

يروي لنا أبو خالد عن مصير الطنطورة وسكانها قائلاً: "أخذونا اليهود وحطونا في المعتقل وأنا منهم، ومن ثم استطعت الهروب من المعتقل، كان المعتقل بقرية سيدنا علي، ثم أخذونا على سجن آخر، ومنه هربت، واخيراً استقر بيّ المقام في مخيم طولكرم، أما وأمي وأخوتي ظلوا بقرية الفراديس، أنا بعد ما هربت من المعتقل ذهبت لأبحث عن أخي أحمد في سوريا، ولكني لم أجده، والقرية دمرت كاملة، وطلعنا إلى طولكرم، وسكنا في المدرسة، والمساجد، وبعدها اعطونا خيم على بيدر يزرع قمح وشعير، وهو مكان المخيم الحالي (أبو خالد، 2021).

الشاهد أبو رياض يروي مصير من بقي حياً من أهل الطنطورة: "أما من ظل حيا فقد احضر اليهود سيارات شحن ووضعونا فيها إلى قرية الفراديس، ومن هناك انطلقت الهجرة الثانية إلى سوريا ولبنان والأردن، وهناك مجموعه من الرجال أخذهم اليهود إلى المعتقل، وكبار السن أخذوهم إلى طولكرم، وسلموهم إلى اللجنة القومية، وجاء الصليب الأحمر واخذ النساء إلى أزواجهن وتفرقوا في البلاد العربية، وهكذا دمرت القرية، وتحولت إلى كيبوتس اسمه نحشوليم (أبو رياض، 2021).

الحاج يوسف سلام (أبو موسى) يروي قائلاً: "الرجال والشباب وكنت من بينهم نقلوا إلى دائرة قرية زمرين، حيث تم التحقيق معنا في ثلاث أيام، ثم أخذونا إلى سجن أم خالد عند مفرق طولكرم حيفا –يافا، كان قبل ذلك معسكر للجيش العراقي، ثم نقلنا إلى قرية الجليل قضاء يافا، وتم بناء معسكر اعتقال على شاطئ البحر، وبقينا فيه مدة سنه، وكان معنا في المعسكر ضباط وجنود من الجيش المصري والعراقي، تم اعتقالهم بكامل عدتهم العسكرية، وفي المعتقل اقترح علينا رجل من يافا فكرة الهروب من المعتقل، واتفقت مع شخص من قرية عزون وابن خالتي أنور فرحات على الهروب، وكان الوقت حينها بعد منتصف الليل والسماء تمطر وترعد، وللهرب لا بد من خلع ملابسنا كي نتمكن من النفاذ من بين الأسلاك الشائكة، بدأت أنا وتجاوزت السلك الأول والثاني، وفتحت ثغره في السياج ممهدا الطريق إلى رفاقي، وتجاوزت الحرس وتمكنت من الهرب وحدي، ارتديت ملابسي وبدأت بالمشي، بحثا عن مدينه أو قرية لم تسقط بيد العدو حتى وصلت حدود تل ابيب، بعدها قررت العودة إلى المعتقل، اتجهت شرقا نحو نهر العوجا وقطعت النهر، ووصلت الطرف الآخر منه، لأجد نفسي في بيارة برتقال، وبقيت فيها حتى الصباح، عندما سمعت صوت أقدام أحدهم حسبته للوهلة الأولى يهودي، لكنه كان عربي فلسطيني صاحب البيارة، ورحب وطلبت منه إرشادي إلى طريق القرى العربية، وأرشدني على بلدة بين قلقيلية وطيرة بني مصعب، التقيت فيها برفاقي الذين هربوا بعدي من المعتقل، وكانت أخبار هروبنا قد نشرت في الصحف، وذهبنا إلى نابلس ثم إلى طولكرم، ودخلنا مقهى الاستراحة لشرب الشاي، ولم نكن نحمل نقود، فشرحنا لصاحب المقهى قصتنا فرحب بنا واستضافنا في منزله إلى أن اتصلت بأحد رجال قريتنا وهو فوزي أبو شكر وغادرنا طولكرم إلى سوريا (أبو موسى، 2021).

الحاج أبو فايز يخبرنا عن مصير من نقل إلى لفراديس: "نعم الأطفال والنساء والشيوخ نقلوا إلى قرية الفراديس وأقاموا فيها 28 يوماً، لننتقل إلى المفرق وبعدها سرنا على الأقدام حتى طولكرم وأقمنا فيها 11 يوماً ومن ثم انتقلنا إلى الخليل، وأقمنا في دير مسيحي مدة ست أشهر، وكان أهل الخليل يحضرون الماء والطعام لنا، وبعدها اتصل بنا أهل الطنطورة الذين فروا وأخبرونا بموافقة الملك عبد الله على انتقالنا إلى سوريا، ونقلنا بالشاحنات من الخليل إلى مدينة درعا السورية، وأقمنا في العراء، ونقلنا بعدها إلى بصرى، وأقمنا في القلعة، بظروف سيئة ومهينه لكرامة الإنسان، حيث كانت الأرض فراشنا والسماء غطائنا، ولم يكن يجاورنا إلا الأفاعي السامة، ويومياً كان يموت منا أطفال نتيجة للظروف الجوية السيئة، حيث كان فصل الشتاء وتساقط الأمطار والثلوج، وكنا نخرج إلى البرية لإحضار العشب اليابس وأغصان الأشجار لإشعال النار لعلها توفر لنا قليلاً من الدفء، وخلال إقامتنا في بصرى التي امتدت لستة أشهر قاسينا من الألم والعذاب، لننتقل بعدها إلى السويداء، وأقمنا في معسكر للجيش الفرنسي، وغادرناها إلى دمشق عام 1952، وأقمنا في مخيم اليرموك،

وبعض العائلات أقامت في القابون[1] أو حرستا[2]، والبعض الآخر أقام في اللاذقية في مخيم الرمل، ويضيف أيضاً عن رأيه في العودة إلى فلسطين أو الاقتناع في الأمر الواقع قائلاً: "صحيح أن شعبنا شعب عملي تمكن من بدأ حياته من جديد خارج أرض الوطن، وصحيح أن معظم اللاجئين أصبح لهم بيوتهم خارج فلسطين لكن هذا لا يعني التخلي عن حق العودة إلى فلسطين، العودة حق مقدس لا يحق لأي كان التنازل أو التفاوض علية، مهما طال الزمان لابد من أن يحق الحق، وكل لاجئ من الجيل الأول زرع في أبنائه حب فلسطين، والتمسك بحق العودة إليها، وسنورث هذا الحق للأجيال التي تليهم حتى العودة والنصر بإذن الله (أبو فايز، 2021).

القرية اليوم والمستعمرات الإسرائيلية على أراضيها

في حزيران/يونيو 1948 أنشأ المهاجرون الصهاينة القادمون من الولايات المتحدة وبولندا كيبوتس (نحشوليم) على أراضي القرية، إلى الشمال الشرقي من موقعها، وفي سنة 1949 أنشأ المهاجرون الصهيونيين القادمون من اليونان مستعمرة (دور) شرقي الموقع، أما القرية اليوم فلم يبق من القرية إلا مقام وقلعه وبئر قديمة وبضعة منازل، وينتشر كثير من شجر النخيل وبعض نبات الصبار في أنحاء الموقع الذي تحول إلى منتزه إسرائيلي يضم بعض المسابح (الخالدي، 1998، ص110).

النتائج:

1–شكَّلت مذبحة الطنطورة نموذجاً واضحاً لبشاعة ما تم في حرب عام 1948م (النكبة).

2–دافع أهالي الطنطورة عن بلدهم ولم يسلموها إلا بعد اشتباكات عديدة بين أهالي الطنطورة واليهود، حيث لم يبق رصاص أو سلاح مع أهالي الطنطورة، وقتل عدد كبير منهم، أي أن العرب دافعوا عن قريتهم دفاع مرير إلى أن سقطت بيد اليهود.

3–أدى تشريد أهالي الطنطورة إلى تشتيت الشعب الفلسطيني على مخيمات في الدول العربية.

4–اثبات ملكية أرض قرية الطنطورة للشعب الفلسطيني، وغيرها الكثير من القرى التي هدمت وتشتت أهلها هنا وهناك.

(1) القابون: حي عريق يقع في شمال شرق العاصمة السورية دمشق، يبعد عن مركز المدينة 4 كم شرقاً.

(2) حرستا: مدينة سورية في محافظة ريف دمشق تقع شرق دمشق على الجهة الشرقية للطريق الرئيسي المنطلق من مدينة دمشق باتجاه مدينة حمص.

5–وجود أمل لدى كل فلسطيني ولاجئ بحق العودة إلى وطنه.

6–مذبحة الطنطورة عملية مبرمجة ومخطط لها في سياق الخطة دالت، حيث كانت واقعها منسجم مع أهداف تلك الخطة.

7–مسلسل الأعمال الإرهابية التي قام بها اليهود بهدف ترويع السكان العرب وارغامهم على الهروب من قراهم وإخلاء المكان لهم.

8–فكرة تهجير الفلسطينيين أصيلة في العمل الصهيوني أصالة فكرة إقامة دولة يهودية على أرض آهلة بسكانها الأصليين.

التوصيات:

1–توثيق الروايات الشفوية من كبار السن قبل أن يتوفاهم الله، لدحض مقولة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، واثبات حقوق الفلسطينيين فيها.

2–دحض كل محاولات التنكر للمسؤولية وادعاءات سلطات الاحتلال أن اللاجئين قد تركوا مدنهم وقراهم طوعاً.

3–تدوين الرواية الشفوية لكتابة تاريخ مجتمعي جماهيري يساهم في حفظه من الضياع.

4–التركيز على التاريخ الشفوي في التاريخ الفلسطيني ككل، للتأكد من سلامة أقوال الرواة من خلال مقارنتها وفحص نقاط الالتقاء والتقاطع من الروايات المكتوبة.

5–تسهيل إمكانية الوصول إلى الشهادات التاريخية الشفوية بكل ما فيها من غنى ودلالات متعددة مع الحفاظ على شفويتها وتجسيدها وسياقها.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1–بني موريس، (1993)، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين، عمان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث.

2–أبو حمود، قسطندي نقولا، (1984)، معجم أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين، القدس، جمعية الدراسات العربية.

3–الخالدي، وليد، (1998)، كي لا ننسى، قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948م وأسماء شهدائها، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

4–شراب، محمد محمد، (1987)، معجم بلدان فلسطين، دمشق، دار المأمون للتراث.

5–صايغ، أنيس، (1968)، بلدانيه فلسطين المحتلة، 1948–1967م، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

6–اليحيى، يحيى محمود، (1998)، الطنطورة قرية دمرها الاحتلال الصهيوني، دمشق، دار الشجرة للنشر والتوزيع.

7–هيئة الموسوعة الفلسطينية، (1984)، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، القدس، جمعية الدراسات العربية.

الأفلام:

1–عشماوي، عبد الرازق، (2005)، فلم بعنوان الطنطورة المذبحة المنسية، تلفزيون الفجر الجديد نقلاً عن تلفزيون المنار، المجموعة اللبنانية للأعلام.

2–ولي، مصطفى، (2005)، فلم بعنوان الطنطورة المذبحة المنسية، تلفزيون الفجر الجديد نقلاً عن تلفزيون المنار، المجموعة اللبنانية للأعلام.

المقابلات الشخصية:

1–احمد صالح زراع (أبو سهيل)، مخيم طولكرم، 77 سنة، 2021/9/8م.

2–احمد عبد المعطي (أبو فايز)، مخيم طولكرم، 80 سنة، 2021/9/6م.

3–امنة إبراهيم المصري، مخيم طولكرم، 85 سنة، 2021/9/10م.

4–حمدة عبد الرحمن ناصر، مخيم طولكرم، 79 سنة، 2021/9/6م.

5–درويش مصطفى الشيخ خليل (أبو شاب)، مخيم طولكرم، 76 سنة، 2021/9/9م.

6–رزق عشماوي، (أبو سعيد)، مخيم طولكرم، 75 سنة، 2021/9/7م.

7–زهية عبد الرحمن صباغ، مخيم طولكرم، 82 سنة، 2021/9/3م.

8–عاقلة عبد الجبار زيدان، مخيم طولكرم، 79 سنة، 2021/9/5م.

9–عبد الرازق المصري، (أبو رياض)، مخيم طولكرم، 73 سنة، 2021/9/7م.

10–عبد الله دسوقي، (أبو فهمي)، مخيم طولكرم، 75 سنة، 2021/9/7م.

11–عيسى حمدان، (أبو حسن)، مخيم طولكرم، 80 سنة، 2021/9/8م.

12–فردوس أبو الهيجا، مخيم طولكرم، 76 سنة، 2021/9/8م.

13–فوزي محمود الطبنجي، (أبو خالد)، مخيم طولكرم، 84 سنة، 2021/9/4م.

14–مصطفى سليمان الأطرش، مخيم طولكرم، 88 سنة، 2021/9/9م.

15–موسى عبد الفتاح الخطيب، مخيم طولكرم، 84 سنة، 2021/9/9م.

16–يحيى أبو ماضي، مخيم طولكرم، 85 سنة، 2021/9/10م.

17–يوسف سلام، (أبو موسى)، مخيم طولكرم، 2021/9/10م.